السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(١٩)

مَا أَحْسَنَ هَذَا العَامَ!

الدكتور
محمد عمر الحاجي

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

obeikandl.com

أَتَشْتُمُهُ وَأَنَا عَلَىٰ دِيْنِهِ ؟!

تعَالَوا أَيُّها الأَحِبَّةُ البَراعِمُ لِنَرَى مَا هِيَ الأَحْدَاثُ الَّتي وَقَعَتْ في السَّنَةِ الخَامِسَةِ لِلْبِعْثَةِ .

ذَاتَ لَيْلَةٍ مَرَّ أَبُو جَهْلٍ قُرْبَ الصَّفَا ، فَرَأىٰ النَّبِيَّ ﷺ ، فَآذَاهُ وَشَتَمَهُ ، وَنَالَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ مِنَ العَيْبِ لِدِيْنِهِ وَ... .!

فَلَمْ يُكَلِّمْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَمَوْلاةٌ لِعَبْدِ اللهِ ابْنِ جُدْعَانَ في مَسْكَنٍ تَسْمَعُ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَقْبَل حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، مُتَوَشِّحاً قَوْسَهُ ، رَاجِعَاً مِنْ قَنْصٍ ـ صَيْدٍ ـ لَهُ ، وَكَانَ

حَمْزَةُ صَاحِبَ قَنْصٍ يَرْمِيْهِ ، وَكَانَ إذا رَجَعَ مِنْ قَنْصِهِ ؛ لَمْ يَصِلْ إلى أَهْلِهِ حتَّىٰ يَطُوْفَ بِالْبَيتِ ، وَكَانَ إِذَا فَعَل ذَلِكَ لَمْ يَمُرَّ علىٰ نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ إلا وَقَفَ ، وَتحدَّثَ مَعَهُمْ ، وَكَانَ أَعَزَّ فَتَىً في قُرَيْشٍ.

فَلَمَّا مَرّ بالمَوْلاةِ ؛ قَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا عُمَارَةَ! لَوَ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيْكَ مُحَمَّدٌ آنِفاً مِنْ أَبي الحَكَمِ ـ أَيْ : مِنْ أَبي جَهْلٍ ـ وَجَدَهُ هَا هُنَا جَالِساً ، فَآذَاهُ وَسَبَّهُ ، وَبَلَغ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ، ثُمَّ انْصَرفَ عَنْهُ ، وَلَمْ يُكَلِّمْهُ مُحَمَّدٌ!!

... فَاحْتَمَل حَمْزَة الغَضَبُ ، وَخَرَجَ يَسْعَىٰ ، وَرَاحَ يَبْحَثُ عَنْ أَبي جَهْلٍ ، حتَّى إِذَا لَقِيَهُ دَاخِلَ المَسْجِدِ الحَرَامِ ، أَقْبَلَ نَحْوَهُ ، وَوَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَرَفَعَ القَوْسَ فَضَرَبَهُ ،

فَشَجَّ رَأْسَهُ ، وَسَالَتِ الدِّمَاءُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَشْتُمُهُ وَأَنَا علىٰ دِيْنِهِ ، أَقُولُ مَا يَقُولُ ؟! فَرُدَّ ذَلِكَ عَلَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ!

فَقَامَتْ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ إلىٰ حَمْزَةَ لِيَنْصُروا أَبَا جَهْلٍ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ ، فَإِنِّي واللهِ! قَدْ سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيْهِ سَبًّا قَبِيْحَاً.

... وكانَ لإِسْلامِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ دَوِيٌّ هَائِلٌ في صُفُوفِ المُشْرِكِيْنَ ، بَيْنَما كانَ في ذَلِكَ نَصْرٌ لِلْمُسْلِمِيْنَ .

* * *

وَبَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ!!

وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ في كَثِيْرٍ مِنَ الأَحْيَانِ يَدْعُو الله قائلاً : « اللَّهُمَّ! أَعزَّ الإسلامَ بِأَحَبِّ هَـٰذيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ ؛ بِأَبِي جَهلٍ أَوْ بعُمَر بْنِ الخَطَّاب » .

وَفي أَحَدِ الأَيَّامِ حَمَل عُمَرُ سَيْفَهُ ، وَانْطَلَقَ غَاضِباً يَبْحَثُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، يُرِيْدُ قَتْلَهُ .

وَذَلِكَ بِسَبَبِ هَذَا الدِّيْنِ الجَدِيْدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ ، وَقُبَيْلَ أَنْ يَصِلَ سَمِعَ صَوْتَ رَجُلٍ يَقْرَأ

أَمْراً عَجَباً! فَقَالَ في نَفْسِهِ : وَمَاذَا يَقُولُ هَذَا الرَّجَلُ ، لَعلَّهُ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله ؟!

وَمرَّ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ الله ـ وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ سِرَّاً ـ بِعُمَرَ ، فَلَمَّا رَآه غَاضِبَاً ؛ سَأَلَهُ : أَيْنَ تُرِيْدُ يَا عُمَرُ ؟

فَقَالَ : أُرِيْدُ مُحَمَّداً هَذَا الصَّابِىء ، الَّذي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ ، وَسَفَّهَ أَحَلامَها ، وَعَابَ دِيْنَها ، وَسَبَّ آلِهَتَهَا فَأَقْتُلُهُ!

فَقَالَ نُعَيْم : وَلَـٰكِنْ بَدَلَ أَنْ تَقْتُل مُحَمَّداً ، أَفَلا تَرْجِعَ إلى أَهْلِ بَيْتِكَ فَتُقِيْمَ أَمْرَهُم ؟!

فَقَالَ عُمَرُ : وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي ؟!

فَقَالَ : زَوْجُ أُخْتِكَ سَعِيْد ، وَأُخْتُكَ فَاطِمَةُ ،

فَقَدْ واللهِ أَسْلَمَا وَتَابَعا مُحَمَّداً عَلَى دِيْنِهِ ، فَعَلَيْكَ بِهِمَا!!

وَكَادَ عُمَرُ أَنْ يُصَابَ بِالجُنُونِ ، فَرَجَعَ وَهُوَ يَقُول : أُختي قَدْ تَرَكَتْ دِيْنَ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ ، وَاتَّبَعَتْ هَذَا الرَّجُل ؟!

وَأَسْرَعَ نَحْوَ بَيْت أُخْتِهِ ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ وَمَعَهُ صَحِيْفَةٌ فِيْها مُقَدِّمَةُ سُوْرَةِ طَـٰه .

فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَ عُمَرَ ، اخْتَبَأَ خَبَّابٌ ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ الصَّحِيْفَةَ ، فَخَبَّأَتْهَا ، وَلَمَّا دَخَلَ عُمَرُ إلىٰ البَيْتِ قَالَ لأُختِهِ : مَاذَا سَمِعْتُ آنفاً ؟

قَالَتْ : مَا سَمِعْتَ شَيْئاً!

فَقَالَ : بَلَى واللهِ! لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمَا تَابعْتُما مُحَمَّداً عَلَىٰ دِيْنِهِ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَه فَضَرَبَ بِهَا زَوْجَ أخْتِهِ ، فَقَامَتْ أخْتُهُ إِلَيْهِ لِتُدَافِعَ عَنْ زَوْجِهَا فَضَرَبَها أَيْضَاً ، فَقَالا : نَعَمْ ، قَدْ أَسْلَمنَا ، وَآمَنَّا بِالله ، وَرَسُوْلِهِ ، فَاصنَعْ مَا بَدا لَك!!

فَلَمَّا رَأى الدِّمَاءَ تَسِيْلُ عَلىٰ وَجْهِ أُخْتِهِ ؛ رَقَّ قَلْبُهُ ، وَقَالَ لَهَا : أَعْطِيني هَذِه الصَّحْيفَةَ الَّتي سَمِعْتُكُم آنِفاً أَنظرْ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدُ .

فَقَالَتْ فَاطِمَةُ : وَلَـٰكِنَّكَ مُشْرِكٌ نجِسٌ ، وَإِنَّه لا يَمَسُّها إِلا الطَّاهِرُ .

فَقَامَ فَاغْتَسَل ، فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيْفَةَ ، فَرَاحَ يَقْرَأ فِيْها بِدَايَاتِ سُوْرَةِ طَـه .

حتَّى إذا بَلَغَ قَوْلَه تَعَالىٰ : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾[1] ، قَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الكَلامَ ، وَأكْرَمَهُ!

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَّابٌ ؛ خَرَجَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا عُمَرُ! وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُوْنَ اللهُ قَدْ خصَّك بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ أَيِّدِ الإِسْلامَ بأبي الحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّاب! » ، فَاللهَ اللهَ يَا عُمَرُ!

---

(١) سورة طـه : ١٤ .

فَقَالَ عُمَرُ : دُلُّونِيْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ، فَإِنِّي أُرِيْدُ أَنْ آتِيَهُ وَأُسْلِمَ...

فَقَال خَبَّابٌ : هُوَ في بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفا مَعَهُ فِيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشَّحَهُ ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمُ البَابَ ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ؛ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَنَظَر مِنْ خِلالِ البَابِ ، فَرآهُ مُتَوشِّحاً سَيْفَهُ .

فَرَجَع إِلَىٰ رَسُولِ الله وَهُوَ فَزِعٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُوْلَ اللهِ! هَذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ مُتَوَشِّحاً سَيْفَهُ .

فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ : فائْذَنْ لَهُ ،

obeikandl.com

فإنْ كَانَ يُرِيْدُ خَيْراً ، بَذَلْنَاهُ لَهُ ، وَإنْ كانَ يُرِيْدُ شَرَّاً قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « ائذَنْ لَهُ » .

فَأذِنَ لَهُ الرَّجُلُ ، وَنَهضَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ حَتَّى لَقِيَهُ بِالحُجْرَةِ ، فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ رِدَائِهِ فجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيْدَةً ، وَقَالَ :

« مَاجاء بِكَ يَا بْنَ الخَطَّابِ ؟ فوالله! مَا أرىٰ أَنْ تَنْتَهِيَ حتَّىٰ يُنْزِلَ اللهُ بِكَ قَارِعَةً » .

فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللهِ! جِئْتُكَ لأُوْمِنَ بِاللهِ وَبِرَسُوْلِهِ ، وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ .

قَالَ : فَكَبَّرَ رَسُولُ الله صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ تَكْبِيْرَةً عَرَفَ أَهْلُ البَيْتِ مِنَ الصَّحَابَةِ : أَنَّ عُمَر قَدْ أَسْلَمَ .

فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَانِهِمْ ، وَقَدْ عَزُّوا في أَنْفُسِهِمْ حِيْنَ أَسْلَمَ عُمَرُ مَعَ إِسْلامِ حَمْزَةَ رَضِيَ الله عَنْهُم أَجْمَعِيْنَ .

* * *

obeikandl.com

مَا أَرْوَعَهُ مِنْ مَوْقِفٍ!

أَمَّا الصَّحَابِيُّ الجَلِيْلُ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فَقَدْ دَخَلَ في جِوَارِ الوَلِيْدِ بْنِ المُغِيْرَةِ ، لَـٰكِنْ لَمَّا رَأىٰ مَا حَدَثَ لِلصَّحَابَةِ وَعَلَىٰ رَأْسِهِم الرَّسُول ﷺ مِنْ تَعْذِيْبٍ وَفِتَنٍ وَمَا إلى هُنالِكَ ؛ انْطَلَقَ إلىٰ الوَلِيْدِ ، وَسَحَبَ ذَلِكَ الاتِّفَاقَ ، فَمَا كَانَ مِنْ أَحَدِ صَنادِيْدِ قُرَيْشٍ إلا أَنْ قَالَ أَمَامَ النَّاسِ : إنَّ هَذَا سَفِيْهٌ مِنْ سُفَهَاءِ قَوْمِنَا ، ثُمَّ لَطَمَ عَيْنَ عُثْمَانَ ، فَقَالَ الوَلِيْدُ : أَمَا واللهِ يا بْنَ أَخِي! إنْ كَانَتْ عَيْنُك عمَّا أَصَابَها لَغَنِيَّةٌ ، وَلَقَدْ كُنْتَ في ذِمَّةٍ مَنِيْعَةٍ .

فَقَالَ عُثْمانُ : بَلْ وَاللهِ إنَّ عَيْني الصَّحِيْحَةَ لَفَقِيرَةٌ إلىٰ مَا أَصَابَ أُخْتَها في اللهِ! وَإِني في جِوَارِ مَنْ هُوَ أَعَزُّ مِنْكَ وَأَقْدَر يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ!

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *

obeikandl.com